تفسير كلّ آية بجملة

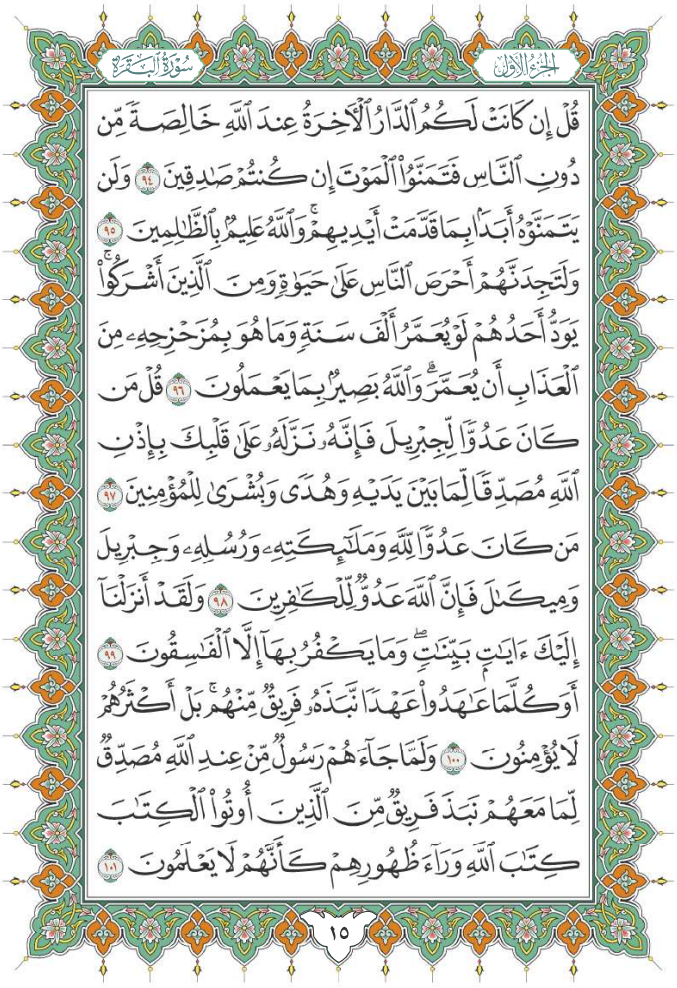

﴿٩٤﴾ - لقد زعمتم أنّ الله سيخصّكم من بين سائر النّاس بنعيم الجنّة بعد الممات، فإن كنتم مؤمنين حقًّا بما تقولون، فليكن الموت محبّبًا إليكم، ولتتمنّوه حتّى لا يُبطّأ عنكم هذا النّعيم الذي تدّعون. لأنّ نعيم هذه الحياة لا يساوي شيئًا إذا قيس بنعيم الآخرة.

﴿٩٥﴾ - لكنّ اليهود في الواقع، لا يرغبون في الموت أبدًا بما اقترفوا من ظلم. وهو أمر لا يخفى على الله أبدًا، الذي يُنبّئهم أنّهم كاذبون فيما يدّعون، وأنّ النّعيم يوم القيامة للمتّقين، لا للفجّار المنافقين أمثالهم.

﴿٩٦﴾ - بل إنّك يا محمّد، لتجدنّهم أحرص النّاس على أيّ شكل من أشكال حياتهم، سواءً كانت عزيزة أم ذليلة. ثمّ إنّ حرصهم على دوام حياتهم، هو أكثر من حرص المشركين أنفسهم، الذين لا يؤمنون ببعث ولا جنّة. ولذلك يودّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة، ولن يُبعد عنه تعميره- مهما طال- ما ينتظره من عذاب الله، لأنّ الله عليم بالظّالمين، وسيذيقهم جزاء ما اجترحوه من الذّنوب.

﴿٩٧﴾ - لقد زعم بعضهم أنّهم يعادونك ويكفرون بكتابك لأنّهم أعداء لجبريل الذي يبلّغك هذا الكتاب، فقل لهم يا محمّد: من كان عدوًا لجبريل فهو عدوّ لله، لأنّ جبريل لا يأتي بهذا الكتاب من عنده، وإنّما ينزّله بأمر الله مصدّقًا لما سبقه من الكتب السّماويّة، ومصدّقًا لكتابهم نفسه، وهدى وبشرى للمؤمنين.

﴿٩٨﴾ - فمن كان عدوًّا لجبريل أو ميكائيل أو لأيّ ملك من ملائكة الله، أو رسول من رسله الذين لا يفعلون ولا يبلّغون إلا ما يأمرهم به تعالى، فإنّه بذلك يكون عدوًّا وكافرًا به، والله عدوٌّ الكافرين.

﴿٩٩﴾ - وما ينزل جبريل على قلبك إلا بآيات بيّنات لا يسع طالب الحقّ إلا الإيمان بها، وما يكفر بمثلها إلا المعاندون الخارجون عن سنّة الفطرة.

﴿١٠٠﴾ - وكما تذبذبوا في العقيدة والإيمان، تذبذبوا كذلك فيما يبرمونه من عهود، فكانوا كلّما عاهدوا المسلمين وغيرهم عهدًا رمى به جماعة منهم وراء ظهورهم، كأنه لم يكن. لأنّ معظمهم لا يؤمن بحرمة عهد ولا بقداسة ميثاق.

﴿١٠١﴾ - ولمّا جاءهم رسول من عند الله مطابقة أوصافه لما في أسفارهم- وهو محمّد ﷺ- جحد فريق من أهل الكتاب ما ذكر في كتبهم عن هذا الرّسول، كأنّهم لا يعرفونه مع أنّهم موقنون أنّه من عند الله لقيام الدلائل من كتبهم على حقّيته.

الآيات من 94 - 96

التّعلّق بالدّنيا وكراهية الموت من صفات اليهود ومن تشبّه بهم

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٩٤): أخرج ابن جرير الطبريّ عن أبي العالية قال: قالت اليهود: لن يدخل الجنّة إلّا من كان هودًا، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً﴾.

المعنى العام

يقول الله تعالى مخاطبًا نبيّه: ﴿قُلْ﴾ يا محمّد لبني إسرائيل الذين ادّعوا أنّ الجنّة لن يدخلها إلّا اليهود ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ الجنّة يوم القيامة ﴿عِندَ اللهِ﴾ في غيبه، ﴿خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ﴾ لكم خاصّة لا يشاركم في نعيمها أحد ولا حتّى المسلمين، ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في اختصاصكم بها. فإنّ العبد إذا تحقّق أنّها منزلته اشتاق إلى الموت الذي يوصله إليها، كما قال عمّار رضي الله عنه يوم صفّين: **"اليوم ألقى الأحبّة محمّدًا وحزبه..."** (١).

وقال حذيفة رضي الله عنه حين احتُضر: "وَحَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ لَا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ" (٢) أي: على الدّنيا.

ولما احتضُر بلال بن رباح رضي الله عنه ونزل به الموت، نادت امرأته: واحزناه! فقال: واطرباه غَدًا أَلْقى الْأَحِبَّة مُحَمَّدًا وَحِزْبَه (٣).

قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ولن يتمنّوا الموت أبدًا بسبب عِلْمِهِمْ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلْمِ بِكَ، وَالْكُفْرِ بِذَلِكَ، فما تمنّاه أحد منهم قطّ. قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: " وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، لَمَاتُوا، وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ"(٤). وقال في الإحياء: "وَدَعَا الْيَهُودَ إِلَى تَمَنِّي الْمَوْتِ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَتَمَنَّوْنَهُ فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النّطق بذلك وعجزوا عنه"(٥) وذكر غيره: أنّ بعضهم تمنّاه، فما جاءت العشاء حتى أخذته الذّبحة في حلقه فمات.

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما " يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ، فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾، أَيْ ادْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَكْذَبُ عِنْدَ اللهِ، فَأَبَوْا ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ... ويُقَالُ: لَوْ تَمَنَّوْهُ يَوْمَ قَالَ ذَلِكَ لَهُمْ مَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ إِلَّا مَاتَ"(٦).

وعَنِ ابْنِ عبّاس رضي الله عنهما قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتُمْ فِي مَقَالَتِكُمْ صَادِقِينَ فَقُولُوا: «اللهمَّ أَمِتْنَا فَوَالَّذِي نَفْسِي فِي

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي عبد الرّحمن السّلميّ، كتاب: معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: ذكر مناقب عمّار بن ياسر رضي الله عنه، الحديث سكت عنه الذّهبيّ في التّلخيص، حديث رقم: ٥٦٨٧.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن زيد بن سلام عن أبيه عن جدّه، كتاب: الفتن والملاحم، باب: أمّا حديث أبي عوانة، حديث رقم: ٨٥٣٣، الحديث إسناده صحيح.

(٣) ذكره القاضي عياض في الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، (٢٢/٢).

(٤) رواه أحمد في مسنده، عن ابن عبّاس، مسند: بني هاشم، مسند: عبد الله بن العبّاس ابن عبد المطلب، حديث رقم: ٢٢٢٥، الحديث صحيح.

(٥) أنظر، الغزالي في إحياء علوم الدّين، كتاب: آداب المعيشة وأخلاق النبوّة، (٣٨٤/٢).

(٦) أنظر، ابن هشام في السيرة، (٥٤٢/١).

يَدِهِ لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلَّا غُصَّ بِرِيقِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ»"[1].

قوله: ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيه تهديد لهم وتنبيه على أنّهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم، فقد زعموا أنّهم أبناء الله وأحبّاؤه، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾[2]، فدعوا إلى المباهلة والدّعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين، فلمّا نكلوا عن ذلك علم كلّ أحد أنّهم ظالمون، لأنّهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك، فلمّا تأخّروا عُلِم كذبهم. وهذا كما دعا رسول الله ﷺ وفد نجران من النّصارى، بعد قيام الحجّة عليهم في المناظرة وعتوّهم وعنادهم إلى المباهلة، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[3] فلمّا رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض: والله لئن باهلتم هذا النّبيّ لا يبقى منكم عينٌ تطرُف، فعند ذلك جنحوا للسّلم وبذلوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فضربها عليهم.

وقيل لهم كلام مُنصف، إن كنتم تعتقدون أنّكم أولياء الله من دون النّاس، وأنّكم أبناء الله وأحباؤه، وأنكم من أهل الجنّة ومن عداكم من أهل النار، فباهِلُوا على ذلك، وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم، واعلموا أنّ المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة. فلمّا تيقّنوا ذلك وعرفوا صدقه نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم، وكتمانهم الحقّ من صفة الرّسول ﷺ ونعته، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحقّقونه، فعلم كلّ أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم. وسمّيت هذه المباهلة تمنّيًا لأنّ كلّ محقّ يودّ لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيّما إذا كان في ذلك حجّة له في بيان حقّه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأنّ الحياة عندهم عزيزة عظيمة، لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[4].

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ يا محمّد ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ على البقاء وطول العمر في هذه الدّار لما يعلمون من مآلهم السّيّء، وعاقبتهم الخاسرة. لأنّ الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر كما حدّثنا رسول الله ﷺ، فكيف يزعمون أنّهم أولى النّاس بالجنّة وهم يودّون لو تأخّروا عن مقام الآخرة، وما يحاذرون منه واقع بهم لا محالة، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ حتّى إنّهم أحرص من المشركين على البقاء، مع كونهم لا يقرّون بالجزاء، فدلّ ذلك على أنّهم صائرون إلى النّار، لذلك كرهوا اللقاء وحرصوا على البقاء، ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يتمنّى أحدهم لو يعيش ألف سنة ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ وليس بمبعده من العذاب أن يعيش ويبقى طويلًا، بل هو زيادة له في العقاب. ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ تهديد وتخويف لمن لا يخشى الله تعالى.

(١) رواه البيهقيّ في دلائل النبوّة، عن ابن عبّاس، كتاب: الشّمائل ونحوها، باب: ما جاء في قول الله ﷻ ﴿قل إن كانت لكم الدار...﴾.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: سورة البقرة، الآيات: ٩٤-٩٦، (٢٢٣/١).

قصّة: ذُكر أنّه عندما كان الحافظ ابن حجر قاضيًا للقضاة، مرَّ يومًا بالسوق في موكبٍ عظيم وهيئةٍ جميلة. فهجم عليه يهوديٌّ يبيع الزيت الحارّ، وكان ثوبه ملطخًا بالزيت، في حالةٍ من الرثاثة والشّناعة. فقبض على لجام بغلته وقال: "يا شيخ الإسلام، تزعم أن نبيّكم قال: "الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر"! فأيُّ سجنٍ أنت فيه، وأيُّ جنّةٍ أنا فيها؟". فأجاب ابن حجر: "بالنسبة لما أعدَّه الله لي في الآخرة من النعيم، كأنّي الآن في السجن، وأنت بالنسبة لما أعدَّه لك في الآخرة من العذاب الأليم، كأنّك في جنّة"، فأسلم اليهوديّ.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. صحّة الإسلام، وبطلان اليهوديّة، ومن أدلة فشل اليهود في المباهلة بتمنّي الموت.

٢. المؤمن الصّالح لا يخشى الموت، لما يرجوه من الرّاحة والسّعادة بعد الموت.

٣. التمسّك بالحياة في الدّنيا هو نتيجة الغفلة عن الله، وأشدّهم غفلة أحبُّهم للبقاء في الدّنيا، وحالُ المؤمن من هذا على الضدِّ.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ﴾[١].

وجاء في وصيّة أبي بكر لعمر ﷺ: " فلا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ"[٢].

فالمسلم يعتقد أنّ سعادته المطلقة تكون بعد الموت بلقاء ربّه، وأنّه في الدّنيا كالطّالب في الجامعة، يدرس ويُمتحن وينتظر لحظة التّخرّج. وهكذا المؤمن ينتظر التّخرّج من هذه الدّنيا، ليفوز بالحياة الحقيقيّة والسّعادة المطلقة في الآخرة. ولذلك شبّه النّبيّ ﷺ يوم العيد- عيد الفطر- ولحظة إفطار الصّائم عند الغروب بلحظة الموت ولقاء الله تعالى، فقال ﷺ: ﴿للصَّائِمِ فرحتانِ: فَرحَةٌ عند فِطرِهِ، وفَرحَةٌ عِندَ لِقاءِ ربِّهِ﴾[٣].

وهذا بخلاف عقيدة اليهود الذين يحبّون الحياة الدّنيا ويكرهون الموت. قال تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٤] لقد صدق القرآن فيما أخبر به عن اليهود، من حرصهم على حب العيش بعمر طويل في الحياة الدنيا ولو كانت هذه الحياة رخيصة ذميمة، إذ هذا أمر مشاهد منهم إلى يومنا هذا.

من علامات الاشتياق تمنّي الموت على بساط العوافي، فمن وَثِقَ بأنّ له الجنّة قطعًا- فلا محالةَ- يشتاق إليها، ولمّا لم يتمنوا الموت - وأخبر الله سبحانه أنّهم لن يتمنوهُ أبدًا - صار هذا التّعريف معجزةً للرّسول ﷺ إذ إنّ الأمر كان كما قال ﷻ.

وفي هذا بشارة للمؤمنين الذين يشتاقون إلى الموت أنّهم مغفور لهم، فلا يرزقهم الاشتياق إلا وقد تحقّق لهم الوصول إلى الجنّة، وقديمًا قيل: كفى للمقصّر الحياء يوم اللقاء. قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[٥].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب وباب: الزهد والرقائق، حديث رقم: ٢٩٥٦.

(٢) رواه أبو داود في الزهد، عن زبيد بن الحارث، كتاب وباب: من كلام أبي بكر رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام، حديث رقم: ١١٥١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

س مَنِ المقصودُ بالمغضوبِ عليهم والضّالّينَ؟

ج أمّا المغضوبُ عليهم، فهُم الّذين جاءَهُمُ الحقُّ فأعرَضوا عنه، وقتَلوا الأنبياءَ ودُعاةَ الخيرِ، وكذّبُوهم، وحاربُوهم؛ فقط لأنّ دعاة الخير يدعون إلى الأخلاق الحسنة الّتي تخالف أهواءهم وشهواتهم؛ وكلُّ مَن جاءَه الحقُّ فأعرضَ عنه وحاربه حسدًا واستِكبارًا وعُلوًّا في الأرضِ واتّباعًا لنفسه وهواه؛ فهو مِن المغضوبِ عليهم.

وأمّا الضّالُّونَ، فهم مَن ضُللوا أو ضَلُّوا عن الحقِّ، ولَم يبحثوا عنه وتركُوا المجالَ لغيرِهم أن يتلاعبُوا بهم وبدينهم؛ فصارَ صراطُ المغضوبِ عليهم والضّالينَ هو منهج حياةِ هؤلاءِ الّذين يعيشونَ في الدّنيا للدّنيا، لا يعرفُونَ إلّا إرضاءَ شهواتِهم وأهوائِهم، ويحسبُون أنّ الإنسانَ جسدٌ وروح فحَسب، ولا يقيمونَ لهذِه الرُّوحِ التي مَنَّ اللهُ تعالى بها عليهم أيَّةَ قيمةٍ أو أيَّ حسابٍ؛ فضاعَتْ مِنهم الأخلاقُ والقِيَمُ، وتعلّقتْ قلوبُهم بالأسبابِ المادّيَّة، ولَم يتذوَّقُوا حلاوةَ التّوكُّلِ على اللهِ والاستعانة به في كلِّ أمرٍ. وقد انتقلَ هذا المنهجُ إلى المسلمين بأساليبَ مُتعدّدةٍ؛ كالقنوات التِّلفزيونية والقنوات المتوفّرة عبر الأنترنت، الّتي تبثُّ أفلامًا وبرامجَ ومسلسَلاتٍ تنقلُ طريقةَ عيش المغضوب عليهم والضّالّين وأسلوب تَفكيرِهم، وكيفيةَ وزنِهم وتحليلِهم للأمورِ، وسبيلَ فهمِهم للدّنيا وحَلِّهم للمشكلاتِ. وللأسفِ، دخلَ هذا المنهجُ إلى أغلبِ بُيوتِ المسلمينَ، وعقولِهم، وأصبحَ كثيرٌ مِن المسلمينَ اليومَ يسيرونَ على صِراطِ المغضوبِ عليهم والضَّالّينَ، غيرَ مدركين، فضاعتْ أخلاقُهم، وضعُفَ إيمانُهم، وانقلبَتْ سعادتُهم شَقاءً، ويُسرُ حياتِهم عُسرًا!

وهذا ما حَذَّرَنا منه رسولُ اللهِ ﷺ بقوله: «أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيا كَما بُسِطَتْ على مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنافَسُوها كَما تَنافَسُوها وَتُهْلِكَكُمْ كَما أَهْلَكَتْهُمْ»[1].

(كما حدث مع المغضوب عليهم والضّالّينَ).

سبب هوان المسلمين اليوم:

قال رسول الله ﷺ: «يوشِكُ أَنْ تَداعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَما تَداعى الأَكَلَةُ على قَصْعَتِها، قالَ: قُلْنا: يا رَسولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنا يَوْمَئِذٍ؟ قالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثيرٌ، ولكِنْ تَكُونُونَ غُثاءَ كَغُثاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ المَهابَةُ مِنْ قُلوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ في قُلوبِكُمُ الوَهْنَ. قالَ: قُلْنا: وما الوَهْنُ؟ قالَ: حُبُّ الحَياةِ وكَراهِيَةُ المَوْتِ»[2].

وهذا بالتّحديدِ صِراطُ المغضوبِ عليهم والضّالّينَ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[3]. واللهُ تعالى يقولُ: ﴿فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[4].

فالمؤمنُ يعيشُ في هذه الدّنيا على أنّها دارُ امتحانٍ وتعلُّمٍ، هو فيها سعيدٌ جدًّا، ولكنّه يعلَمُ بيقينٍ أنّ ما ينتظرُه في الحياةِ الأُخرى أعظمُ وأجملُ بكثيرٍ. وهكذا لا ينتقلُ المؤمنُ مِن مرحلةٍ إلى أُخرى إلّا وكانت الأُخرى خيرًا له مِن الأُولى. فحياةُ البرزخِ بعدَ الموتِ خيرٌ مِن الحياةِ الدُّنيا، وحياتُه في الجنّةِ خيرٌ مِن حياتِه في البرزخِ، وهي في ترقٍّ دائمٍ. قال اللهُ تعالى: ﴿وللآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولى﴾[5]، وقال: ﴿...وَلَدَيْنا مَزيدٌ﴾[6].

(١) رواه أحمد في مسنده، عن ثوبان، مسند: تتمّة مسند الأنصار، مسند: ومن حديث ثوبان، حديث رقم: ٢٢٣٩٧، الحديث إسناده حسن.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٦.
(٣) سورة البقرة، الآيات: ٩٤.
(٤) سورة الضّحى، الآية: ٤.
(٥) سورة ق، الآية: ٣٥.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- ضع مخططًا لحياتك ليزداد تعرّفك على الله تعالى وحبّك له، ويزداد تعرّفك إلى النّبيّ ﷺ وحبّك له، فإنّ «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[1] كما حدّث رسول الله ﷺ.
- اجعل لك أعمالًا صالحة كثيرة وصدقة جارية كالمساهمة في بناء مسجد أو مستشفى أو مدرسة وعلمًا ينتفع به كنشر العلم والعقيدة والاخلاق والصلاة على رسول الله ﷺ يجعلك تشتاق للآخرة.
- سَلِ الله تعالى حسن الخاتمة، والشّوق للقاء الله في غير ضرّاء مضرّة، ولا فتنة مضلّة، ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

في الأخلاق والآداب

التّوجيهات: كلّما كثر تعلّق العبد بالدّنيا والماديّات، كلّما اشتدّت غفلته عن الموت وذكره، ولم يحبّ لقاء الله.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

عن السيّدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءه ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَه**». فقُلْتُ: يا نبيَّ الله كراهيةَ الموتِ؟ فكُلُّنا نكرَهُ الموتَ قال: «**لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَه، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَه**»[2].

في السّيرة والشّمائل

قصة الوفاء والثبات: أصحاب الرجيع

بعث رسول الله ﷺ عشرةً من خيرة أصحابه في مهمة استطلاع، وأمّر عليهم الصحابي الجليل عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، فخرجوا طاعةً لله ورسوله، لا يطلبون دنيا ولا سمعة، وإنما يحملون همّ الدعوة ونصرة الدين.

وفي طريقهم، عند موضع يُقال له الهَدَأة، بين عسفان ومكّة، علمت بهم قبيلة من هذيل تُعرف بـ بني لِحيان، فخرجوا إليهم في نحو مئتي رجل، كلّهم رماة، يتعقّبون آثارهم حتى دلّهم تمرٌ كان مع الصحابة على أنهم من أهل المدينة.

فلما أحاط القوم بالصحابة، لجؤوا إلى مرتفع من الأرض، فقال المشركون: انزلوا وأعطونا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق ألّا نقتل منكم أحدًا. عندها وقف عاصم بن ثابت موقف المؤمن الصادق، وقال كلمته الخالدة: "**أما أنا، فوالله لا أنزل اليوم في ذمّة كافر**،" ثم دعا ربّه: "**اللهم أخبر عنّا نبيك**"

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود، كتاب: الأدب، باب: علامة حبّ الله ﷻ، حديث رقم: ٦١٦٩.

(٢) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن عائشة أمّ المؤمنين، حديث رقم: ٣٠١٠.

واشتدّ القتال، فرماهم القوم بالنبل، فاستُشهد عاصم وسبعة من أصحابه، ففازوا بالشهادة، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه.

ونزل ثلاثة من الصحابة بعد أن أُعطوا الأمان: خُبيب [1] بن عدي، وزيد بن الدَّثِنة، ورجل ثالث. فلمّا تمكّن المشركون منهم، غدروا بهم وربطوهم بالحبال. فقال الرجل الثالث: "**هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم**" وأبى أن يمضي معهم، فقتلوه في مكانه، راضيًا بالشهادة، مقتديًا بإخوانه. أما خُبيب بن عدي، فبيع في مكة ليُقتل ثأرًا، لأنه كان قد قتل أحد كبارهم يوم بدر وهو الحارث بن عامر. فأقام أسيرًا عندهم، لكنّه كان مثالًا في الخُلُق، والأمانة، والصدق.

و لما اجتمع بنو الحارث لقتل خُبَيْب، استعار من بعض بنات الحارث موسىً [2] ليحلق بها، فدخلت عليه المرأة فوجدته واضعًا طفلها على فخذه، و الموس بيده، ففزعت، فقال لها في طمأنينة: "**أتخشين أن أقتله؟ ما كنتُ لأفعل ذلك**" وقالت تلك المرأة: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خُبيب.

وكان الله يكرمه، فتراه يأكل عنبًا في مكّة، وليس فيها عنب، وهو موثق بالحديد، فكانت تقول :إنه رزق من الله.

فلما أخرجوه من الحرم ليقتلوه في الحل أي خارج مكّة ، قال لهم: "**ذروني أركع ركعتين**" فصلى ركعتين خفيفتين، ثم قال: "**لولا أن تظنوا أن بي جزعًا لطولتهما**"

ثم أنشد ثابتًا مطمئنًا:

ولست أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لله مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثم قُتل شهيدًا، فكان أول من سنَّ ركعتي الشهادة لكل مسلم يُقتل صبرًا.

وأما عاصم بن ثابت، فقد أرادت قريش أن تأخذ رأسه، إذ نذرت امرأة أن تشرب الخمر في جمجمته، لكنه كان قد عاهد الله في حياته ألا يمسّ مشركًا ولا يمسّه مشرك. فأرسل الله عليه سربًا من الدَّبْر (الزنابير) فحماه، فلم يقدروا أن يمسّوا جسده، ثم أرسل الله سيلًا فحمله بعيدًا عنهم، فحفظه الله بعد موته كما حفظه في حياته.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : "**حفظ الله العبد المؤمن، وقّى لله فوقّى الله له**"[3].

وأما زيد بن الدَّثِنة، فلما قُدّم للقتل، قال له أبو سفيان: أنشدك بالله يا زيد، أتحبّ أن محمدًا الآن مكانك، وأنت في أهلك؟

فقال زيد: "والله ما أحب أن يُصاب محمد بشوكة تؤذيه، وأنا في أهلي"

فقال أبو سفيان: "ما رأيت أحدًا يحبّ أحدًا كحبّ أصحاب محمد محمدًا"

ثم قُتل زيد شهيدًا، ﷺ.

(١) وخبيب هذا، الملائكة وارت جسده الشريف، كحنظلة غسيل الملائكة.

(٢) موسى: سكّين.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، كتاب: المهاجرون من الصحابة، باب: عاصم بن ثابت.

الإشارة: في هذه الآية ميزان صحيح توزن به الأعمال والأحوال، ويتميّز به المدّعون من الأبطال، فكلّ عمل يهدمه الموت فهو مدخول، وكلّ حال يهزمه الموت فهو معلول، وكلّ من فرّ من الموت فهو في دعواه المحبّة كذّاب، فمن ادّعى الخصوصيّة على النّاس يُختبر بهذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

النّاس في حبّ البقاء في الدّنيا على أربعة أقسام:

١. رجل أحبّ البقاء في الدّنيا لاغتنام لَذّاته ونيل شهواته، قد طرح أخراه، وأكبَّ على دنياه، واتّخذ إلهه هواه، فأصمّه ذلك وأعماه، فإن ذُكر له الموت فرّ عنه وشرد، وإن وعِظَ أنِف وعَنَدَ، عمره ينقص، وحرصه يزيد، وجسمه يبلى، وأمله جديد، وحتفه قريب، ومطلبه بعيد، فهذا إن لم تكن له عناية أزليّة، وسابقة أوّليّة فيمسك عليه الإيمان، ويختم له بالإسلام، وإلا فقد هلك.

٢. ورجل قد أزيل عن عينه قذاها، وأبصر نفسه وهواها، وزجرها ونهاها، قد شمّر ليتلافى ما فات، ونظر فيما هو آت، وتأهّب لحلول الممات، والانتقال إلى محلّة الأموات، ومع هذا فإنّه يكره الموت أن يشاهد وقائعه، أو يرى طلائعه، وليس يكره الموت لذاته، ولا لأنّه هَادِمُ لَذَّاتِهِ، لكنّه يخاف أن يقطعه عن الاستعداد ليوم المعاد، ويكره أن تطوى صحيفة عَمَلِهِ قبل بلوغ أمله، وأن يبادر بأجله قبل صلاح خلله، فهو يريد البقاء في هذه الدّار لقضاء هذه الأوطار، فهذا ما أفضل حياته! وأطيب مماته! لا يدخل تحت قوله ﷺ: «مَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كره اللهُ لِقَاءَه»[١] شرط أن يزداد كلّ يوم علمًا بالله، قال ﷺ: «إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا، فَلَا بُورِكَ فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ»[٢]، فأنت مُطالب بأن تتعلم وتُعلّم حتّى توافيك المنيّة.

٣. ورجل آخر قد عرف الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وشهد ما شهد من كمال الربوبيّة، وجمال حضرة الألوهيّة، فملأت عينه وقلبه، وأطاشت عقله ولبّه، فهو يحنّ إلى ذلك المشهد، ويستعجل إنجاز ذلك الموعد، قد علم أنّ الحياة الدنيويّة حجابٌ بينه وبين محبوبه، وسترٌ مُسدل بينه وبين مطلوبه، فهذا من المحبّين العشّاق، قد حنّ إلى الوصال والتّلاق، فكان كما حدّث رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَه»[٣]، فما أحسن حياته ولقاءه!

٤. ورجل آخر قد شهد ما شاهد ذلك، وربما زاد على ما هنالك، لكنّه فوّض الأمر إلى خالقه، وسلّم الأمر لبارئه، فلم يرض إلا ما رضي له، ولم يرد إلا ما أريد به، وما اختار إلا ما حكم به فيه، إن أبقاه في هذه الدّار أبقاه، وإن أخذه فهو بغيته ومناه، فهذا من العارفين المقرّبين. جعلنا الله منهم بمنّه وكرمه.

حكمة: يقول ابن عطاء الله السّكندري رحمه الله: "إذا التَبَسَ عَلَيْكَ أمْرانِ، فانْظُرْ أثْقَلَهُما عَلى النَّفْسِ فَاتَّبِعْهُ، فَإنَّهُ لا يَثْقُلُ عَلَيْها إلَّا ما كانَ حَقًّا".

شرح الحكمة: إذا التبس عليك أيّها المريد أمران واجبان، كطلب ما لابدّ منه من العلم، والسّعي على العيال، أو

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبادة بن الصّامت، كتاب: الرّقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم: ٦٥٠٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبادة بن الصّامت، كتاب: الرّقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم: ٦٥٠٧.

مندوبان كطلب علم زائد على ما لا بدّ منه، والاشتغال بالنّوافل. فانظر أثقلهما على النّفس، فاتّبعه، فإنّ شأنها أن تميل إلى الحظوظ وتفرّ من الحقوق. هذا بالنّسبة لغير النّفس المطمئنّة! وأمّا هي فقد يخفّ عليها عمل ما هو أولى، فليكن نظر صاحبها حينئذ إلى ما هو أكثر فائدة وأعظم مزيّة.

وقد ذكر بعضهم ميزانًا آخر تعرف به ما هو أولى بالتّقديم من غيره عند الالتباس عليك، وهو: أن تقدّر نزول الموت بك أثناء انشغالك به، فأيّ عمل سرّك أن تكون مشغولًا به إذ ذاك، فهو حقّ وما سواه باطل. لأنّ العبد لا يصدر منه في هذه الحالة، إلا العمل الصّالح الخالص من شوائب الرّياء، كما هو مقتضى قصر الأمل الذي هو أصل حُسنِ العمل. إذا علمت ذلك، علمت أنّ من ينشغل بتعلّم علم غير متعيّن عليه، مع أنّه مطالب في هذا الوقت بطاعة أولى، بعيد عن درجات الكمال.

نسأل الله السّلامة من الغفلة في زمان المهلة، فإنّها مبدأ كلّ عمل فاسد، ومنشأ وجود الغرّة والجهالة لكلّ عالم وعابد.

الإشارة: يُفهم من سرّ الخطاب، أنّ كلّ من قصُرَ أمله، وحسُنَ عمله، وطيّب نفسه للقاء الحبيب، واشتغل في هذه اللحظة القصيرة بما يقرّبه من القريب، كان قربه من الله بقدر محبّته للقائه، وكلّ من طوّل أمله، وحرص على البقاء في هذه الدّار الفانية، كان بُعده من الله بقدر محبّته للبقاء، إلا من أحبّ البقاء لزيادة الأعمال، أو التّرقّي في المقامات والأحوال، فلا بأس به، ويفهم منه أيضًا أنّ مَن اشتدّ حرصه على الحياة الفانية كانت فيه نزعة يهوديّة.

واعلم أنّ النّاس، في طول الأمل وقصره، على قسمين: منهم من طوّل في أمله فازداد في كسله، ودخله الوهن في عمله، وآخر قد قصر أملُه وجعل التّقوى بضاعته، والعبادة صناعته، ولم يتجاوز بأمله ساعته، ومثل هذا قد رفع التّوفيق عليه لواءه، وألبسه رداءه، وأعطاه جماله وبهاءه، فانظر رحمك الله أيّ العبدين تريد أن تكون، وأيّ العملين تريد أن تعمل، وبأيّ الرّداءين تريد أن تشتمل؟ فلست تلبس هناك إلا ما تلبس هنا.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

من علامات السّاعة: تكالب أمم الكفر على هذه الأمّة، وهو ما نشهده اليوم؛ فعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشِكُ أَنْ تَداعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَما تَداعى الأَكَلَةُ على قَصْعَتِها، قالَ: قُلْنا: يا رَسولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنا يَوْمَئِذٍ؟ قالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثيرٌ، ولكِنْ تَكونُونَ غُثاءً كَغُثاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ المَهابَةُ مِنْ قُلوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ في قُلوبِكُمُ الوَهْنَ. قالَ: قُلْنا: وما الوَهْنُ؟ قالَ: حُبُّ الحَياةِ وكَراهِيَةُ المَوْتِ**»[1].

(١) رواه أحمد في مسنده، عن ثوبان، مسند: تتمّة مسند الأنصار، مسند: ومن حديث ثوبان، حديث رقم: ٢٢٣٩٧، الحديث إسناده حسن.

عن ابن عمر ﷺ قال: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاءِ الدَّعَوَاتِ لأَصْحَابِهِ: «اللهمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا. وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا».

الآيات من 97 - 98

عداوة اليهود لسيّدنا جبريل عليه السّلام

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٩٧):

قال الإمام أبو جعفر الطبريّ رحمه الله: أجمع أهل العلم بالتّأويل جميعًا أنّ هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أنّ جبريل عدوٌّ لهم، وأنّ ميكائيل وليّ لهم، ثمّ اختلفوا في السّبب الذي من أجله قالوا ذلك.

فعَنِ ابْنِ عبّاس ﷺ، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ، إِذْ قَالُوا: اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، قَالَ: «هَاتُوا»، قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلامَةِ النَّبِيِّ، قَالَ: «تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ»، قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنِّثُ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ تُذْكِرُ؟ قَالَ: «يَلْتَقِي الْمَاءَانِ فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ»، قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: «كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلائِمُهُ إِلا أَلْبَانَ كَذَا وَكَذَا»، قَالَ بَعْضُهُمْ: "يَعْنِي الْإِبِلَ، فَحَرَّمَ لُحُومَهَا"، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنْ مَلائِكَةِ اللهِ عز وجل مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ - أَوْ فِي يَدِهِ - مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ»، قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «صَوْتُهُ»، قَالُوا: صَدَقْتَ، إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي نُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: «جِبْرِيلُ عليه السلام»، قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ لَكَانَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[1].

(١) رواه أحمد في مسنده، عن ابن عبّاس، مسند: بني هاشم، مسند: عبد الله بن العبّاس ابن عبد المطلب، حديث رقم: ٢٤٨٣، الحديث حسن.